

ثنائية الأب والأبن في ديوان (عبدالله) لخالد الكركي

د. علي محمد الذيابات

أ.د. عيسى قويدر العبادي

جامعة الحسين بن طلال

ملخص

تحاول هذه الدراسة أن تقف مع ديوان (عبدالله) للشاعر الأردني خالد الكركي، وذلك في صورة مركزة فقط في الفكرة الأم التي تشكل مساحة الديوان كله، وهي خطاب الأب / الشاعر لأبنائه الذين يمثلون بعداً شخصياً بالنسب، وبعداً جمعياً بالرمز والرسالة، وقد اجتهد الشاعر في حزم سلسلة من النصائح والتوجيهات والتحفيز لهؤلاء الأبناء من أجل تحقيق فكرة واحدة، ورؤية تمثل أيولوجية الشاعر في موقفه من الأمة العربية الإسلامية ، فكانت فكرة الثورة والبحث عن عزة الأمة وكرامتها هي التي شكلت هذا الخطاب الشعري كله على كامل مساحة الديوان، وقد ارتكزت الدراسة على ثنائيات الأب والابن، الأب والجد، والأب والأخ، في سبيل النقاط الفكرة المركزية في الديوان وهي استنهاض همم الجيل من أجل استعادة كرامة الأمة العربية .

الكلمات المفتاحية: ثنائية الأب والابن، ديوان عبدالله، خالد الكركي.

Abstract

The present study aims at exploring the main ideas presented in the Jordanian poet Khalid Al-Karaki's poetry collection 'Abdullah'. The focus of the study is the idea of the figurative speech of the father / poet to his sons which carries various messages and advices on the individualized and generic dimensions. This idea, the study argues, constitutes a large portion of the entire poetry collection. The study also points out that the poet has succeeded in implementing a series of tips, guidance and motivation for his figurative children in order to achieve and realize a vision that represents the ideology of the poet and his attitude towards the Arab-Islamic nation. It is the idea of revolution and the search for the pride and dignity of the nation that constitutes the poetic discourse of the poet's poetry collection.

Keywords: father and son duality, Abdullah's Diwan, Khaled Al-Karaki

مقدمة

لا شك أنّ التاريخ والتراث، عند كل الأمم والشعوب، يشكلان مادة أساسية في تمكين حاضرها وواقعها استناداً إلى أخذ الدروس والعبر من أيام هذه الأمم وإنجازاتها على الصعد الحضارية والثقافية والعسكرية، وكافة المستويات الأخرى التي شكلت صورة مشرقة لماضي هذه الأمم والشعوب، فكان التاريخ أحد أهم مستندات الحاضر والمستقبل ومرتكزاته.

ولما كانت الأمة العربية الإسلامية تحتفظ بسجل هائل من هذه الذكريات الحقيقية التي بنت من خلالها أمجاداً لم تستطع بناءها اليوم، فقد حاولت، مثلها مثل بقية الأمم، أن تستحضر تاريخها وماضيها وإنجازاتها السالفة من أجل احتدائها في سبيل الرفعة والتقدم.

ولما كان الأردن جزءاً من هذا الأمة، فإنّ الشاعر ينظر إلى جغرافيته، وما حدث فيها من معارك خالدة ما زالت عين النظر، ثم قرن هذه الجغرافيا بالتاريخ، واستحضر قامات كبيرة من قادة المعارك الإسلامية مثل خالد بن الوليد وأبي عبيدة الجراح، وقادة معركة مؤتة، وبيبرس، وقطرز، وصلاح الدين الأيوبي، انتهاء بثوار البلاد الذين رفضوا بعض الممارسات التركية في البلاد، وانتهاء بثورات الشام وفلسطين ضد الإنجليز والصهاينة.

ولما كان الأدباء والشعراء جزءاً من هذه الأمة، فقد قالوا كلمتهم في هذا المقام، فقد نهضت رموز كثيرة مثل عرار، وفدوى طوقان، وإبراهيم طوقان، وتيسير سبول، وكثير من الشعراء المعاصرين في سبيل حمل أمانة النضال والكفاح والثورة،

وقد استفاد الشعراء الأردنيون من الرموز التاريخية " فوظفوا بعضاً من هذه الرموز والشخصيات، كما عمدوا إلى إعادة تشكيل الرموز والشخصيات التاريخية وتحريرها، ولو جزئياً، من العلاقة الوثيقة التي تشدها نحو مرجعيتها التاريخية، وذلك حتى تتسجم مع ما يطرحون من رؤى وأفكار " (1) .

وكان لخالد الكركي نصيب وإسهام في ملف الثورة والنضال، إذ أنتج ديوان (رجع الصهيل) الذي احتل هذا الملف فيه نصيب الأسد، ثم ديوان (عبدالله) الذي خصص لرسالة واحدة واضحة مباشرة، وهي خطاب الأبناء من أجل إعدادهم ليكونوا فدائيين ورموز تضحية من أجل الوطن والأمة وفلسطين.

ولما كان الشاعر _ بحسب سيرته الذاتية ومعرفتنا الوثيقة به _ قد قدم كل ما استطاع من أجل الأمة العربية والإسلامية، ومن أجل فلسطين/ القضية الأم للعرب والمسلمين، فقد حاول أن يورث هذه الحماسة والفكر الثوري الوطني والقومي لأبنائه وأقرانهم من جيل الأمة المعاصر، فبث كل ما رآه من مقومات الثورة والحرية والكرامة لهؤلاء الورثة، ولم يأل جهداً في إيصال الرسالة القومية والوطنية التي انطلق منها، وقد حاول الشاعر الاستعانة بتاريخ الأمة المجيد، فعاد إلى المعارك الإسلامية الكبرى التي حقق فيها المسلمون انتصارات ما زالت حاضرة في وجدان الأمة، وكذلك الحال، فقد استحضر مجموعة من قادة الجيوش الإسلامية، وجعل منهم قدوة ورمزاً، ورسم بوصلة النصر من خلالهم، واستحث أبناءه، واستنهض همهم، من خلال الاقتداء بمثل هؤلاء القادة الأبطال الذين صنعوا مجد الأمة وتراثها العزيز الكريم.

وتهدف هذه الدراسة إلى مقارنة عنصر من العناصر التي شكلت عالم الشاعر خالد الكركي، الذي كان له تأثير بارز في تجربته الشعرية ورؤيته الإنسانية، وهو صورة (الأب/ الابن)، التي حرص الشاعر على استحضارها في عدد من نصوصه الشعرية فهما من الرموز الإنسانية التي تمد الحياة بعناصر الديمومة والبقاء.

اتخذت الدراسة من المنهج التحليلي الفني وسيلة للكشف عن الملامح الرئيسية في صورة (الأب/ الابن) في خطاب الكركي الشعري، والوقوف عند أهم عناصرها وسماتها الإنسانية والموضوعية.

(1) شطناوي، لقمان : الرمز في الشعر الأردني الحديث، مطبعة الروزنا، 2006، ص167.

ثنائية الأب والابن

يبتدئ خالد الكركي تناول هذا الطرح من خلال ثلاثية الجد / الأب / الابن، وذلك إشارة إلى ابتداء سلالة النسب وانتهائها، ابتداء بالجد، مروراً بالأب، وتوقفاً عند الابن الذي هو في رؤية الشاعر قصد الإنتاج والثمر والإنجازات الحالية والمستقبلية في بناء مجد الأمة العربية وعزها، يقول⁽¹⁾ :

وفي يقظة الحلم يا ولدي يتراءى أبي

وهو يوقد للضيف نار قراه

فيا وجع القلب من فرحي

لأنك من سيهيل تراب غياي علي

ويملاً قبيري

أدعية ويقيم صلاة الحياة

إنه الثالوث بخط الفجيرة والخسارة والألم، حين غاب الركن الأول من هذا الثالوث، وهو الجد، لكنه يخلف الابن/ الأب، الذي يمثل حلقة وسطى، تنظر بعين الحسرة على من ذهب، ويعين الرثاء والحزن على من سيذهب / الأب الحاضر، ويعين الأمل على من يمكن أن يحقق هذا الأمل / الابن ، ولم يكن هذا الابن / الأمل إلا نتاجاً وراثياً ثورياً وقومياً لسلسلة يعتز الشاعر/ الأب بأنه أحد مفاصلها ومرآطها، ولعله ورث هذه المقومات الثورية والقومية والوطنية عن أبيه وأخيه سليمان*، اللذين ورثاها أيضاً عن هذا الجد الذي كان أحد رموز الثوار القوميين نهاية الحكم العثماني للبلاد، وعنصراً من عناصر النشاط وزرع الهمة والسعي من أجل مجد الأمة.

وأمام حقيقة أن خالد الكركي لم يرزق بولد ذكر إلا متأخراً، حين عوضه الله بثلاثة توائم دفعة واحدة، عبد الله وزيد وجعفر، الذين وشحهم بهذه الأسماء النبيلة تيمناً بالصحابة الكرام من قادة معركة مؤتة، أمام هذه الحقيقة فإن الشاعر كإنسان ورجل قومي عروبي، ظل يتمنى مجيء هذا الولد إلى أن جاءه ثلاثة من الأولاد، علمهم يواصلون مسيرة الثلاثة الأول، فكان انتظاره المقدس لهذا الحدث العظيم / الولادة، حلماً وهاجساً نبيلاً، تمناه فكان⁽²⁾:

(1) الكركي، خالد: ديوان عبد الله ، الآن ناشرون وموزعون، عمان، 2016 ، ص9.

* - سليمان أخو الشعر خالد الكركي، كان ضابطاً في الجيش الأردني برتبة عقيد، توفي سنة 1993.

(2) ديوان عبد الله : ص 10 .

بدا النجم يا ولدي تائهاً

في فضاء بهي يرود

دروب هواك

وقلنا سيأتي سهيل اليماني

سوف أرود دروب السماء إليه

وأقرأ بين يديه

حكايات موتي الذي لا يجيء

وأكتب: هل لي من حبيب

سواك

إنّ أمنية الشاعر، هنا ، تتجاوز بعدها الشخصي إلى بعد جمعي ، صحيح أنه -بوصفه رجلاً لم يرزق ذكوراً بعد- يحن إلى وريث يحمل معه وعنه أمانة الوطن والقيم والثورة وكل هذه المبادئ والرؤى التي تشكل بوصلة الكركي، لكنّه يوسع دائرة هذه الأمنية برسم صورة تتعلق بخبز الناس وحياتهم، أي المطر، الذي هو أساس الحياة، فإنّ أجمل الإشارات إليه من خلال البعد الشعبي ومعتقد الناس هو ظهور نجم سهيل، فالعرب كانت تعتقد، بل تقرر، أنّ سهيلاً -هذا النجم اليماني الجميل- هو إشارة الخير والمطر والغيث، ومن هنا فقد شكلت صورة الحلم والأمنية الأولى في وجدان الشاعر أنّ يكون ابنه القادم سهيلاً، مصدر غيث وحياة كريمة للأمة، وكأنه نذره مسبقاً لقضية الأمة لا لعاطفته وحبّه الأبوي، وسيمارس هذا الوالد على ولده / أولاده القادمين دور الحكيم والمستقر والمنشّط والموجه لهذه الكوكبة؛ كي تكون ملكاً لأمتها وليس ملكاً له، فقد لعب بالبوصلية العاطفية حين حرف إبرتها من اتجاهه إلى اتجاه الأمة؛ لأنّه هو أصلاً في رحم الأمة، ولا يريد لأولاده إلا أن يكونوا مثله، إن لم يكونوا أفضل منه في هذا السبيل.

إن العارف بمكونات خالد الكركي الثقافية يدرك عمق النظرة العروبية القومية والإسلامية عنده، ويدرك، كذلك، عمق الانتماء إلى التاريخ الإسلامي وبطولات المجاهدين الفاتحين، ويستطيع تصور حجم مؤتة وبعدها التاريخي الإسلامي في سفر الأمة، وكذلك في إنتاج الكركي نفسه، خاصة في ديوان (رجع الصهيل) ⁽¹⁾، ويستطيع كذلك أن يقدر حجم الحب

(1) الكركي، خالد: ديوان رجع الصهيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007.

الذي يمنحه الكركي للكرك ومؤتة والجنوب، ومن هنا، فإنّ الجغرافيا الأردنيّة - ممثلة بهذا الجنوب - تشكل مرتكزاً شعرياً كبير الحجم والرؤية عند الكركي، وانطلاقاً من هذا التعلق الجغرافي فإنّ الكركي يرسم لوحة التعلق والتماهي بين الإنسان والأرض، فهو لا يريد أن يأتي ابنه القادم من أوروبا مثلاً أو أي مصر في العالم، بل إنّه يرسم له جغرافية الميلاد كي لا يخون هذه الجغرافيا المقدسة في المستقبل⁽¹⁾:

فيا أيها القادم العذب

من ذروة في أعالي الكرك

من ينهض الآن إن شبت النار في الصدر

من يقرأ الآن غيماً على الأفق

من ينجز الآن نقشاً على صخرة للزمان الجديد

.....

وما زلتُ في وحشة العمر

أرجو سليمان أن لا يطيل الغياب

وأسأل ربي أن يرجعه

وأطلبه أنت وراء الرؤى البيض

حُلماً لعل زمانك قد يطلعه

إن الكركي، إذن، يحاول، بل يقصد إلى ضرورة ربط المكون الإجمالي للحياة.... الإنسان، الزمان، المكان، ولما كان قد حدّد الشرط الأول من خلال الإشارة إلى السلالة الإنسانية المنشودة ... الجد/ الأب/ الابن، فإنّه يقرر ربطها، كذلك، بالزمن المجيد، زمن الفتوحات والانتصارات الإسلامية، التي يأمل أن تتواصل من خلال هذه البذرة المنذورة لهذا القصد النبيل، ثم إنّه يؤكد على العنصر الثالث الذي لا يقل أهمية عن سابقه فيبدأ برسم الخطوط والخيوط الرابطة من خلال تلك المشاهد المرتبطة "بتأصيل الفكرين الديني والقوميّ اللذين يرتبطان بالتاريخ والجغرافيا، تاريخ الأمة الإسلامية

(1) ديوان عبد الله: ص13.

المجيد، وتسجيل انتصاراتها وأمنيات محاسباتها، وجغرافيا الأرض والوطن والمعركة في مؤتة / الكرك/ الأردن/ العرب/ الإسلام" (1).

إن سهل مؤتة التاريخ والانتصار، يغدو محفزاً ومنشطاً بإسقاطاته التاريخية المجيدة لسهل مؤاب والكرك الحديث حيث صراع أهل البلاد مع الترك، والاستعمار الأوروبي فيما بعد، متجاوزاً الجغرافيا المادية لتصبح في رؤية الشاعر تشكيلاً روحياً ووجدانياً يزخر بالحركة والحياة، فكان ذلك تعويضاً نفسياً لأهمية المكان" (2).

ولا تقل أهمية المكان في الأدب -شعراً ونثراً- عن أهمية الزمان والإنسان، فالمكان هو ميدان الحدث، غالباً، ولا يكون الحدث إلا بارتباط هذا الثالث، ولقيمة هذا المكان فإنّ الأدباء يسمونه وطناً انطلاقاً من الانتماء والحب، وتقديراً لأهمية هذا العنصر، يقول حكمت النوايسة: "إذا جعلت المكان موضوعاً للكتابة، فأنت تكتب عن المكان، ولا تكتب المكان، وإن من أصعب الأمور أن تكتب أو تقول عن المكان في أدب كاتب أو شاعر كالدكتور خالد الكركي ، ذلك أنّ ما قرأناه من جماليات المكان ومواصفاته تبتعد إلى حد ما عن هذا الأدب لصالح فعل الإنسان في هذا المكان" (3).

إنّ هذا التعلق الجغرافي المكاني على صعيده المادي ما هو إلا رمز أعلى لكلّ الأمكنة المجيدة التي تعكس مجد الأمة وانتصاراتها، فكما كانت ذروة في أعالي الكرك رحم طفل قادم نحو المجد، فإنّ أرض مؤاب التاريخية، بأجلها وأكملها، هي موجة أخرى من أمواج المكان المجاهد المناضل(4):

ما ضلّ صاحبنا يا بُني بأرض مؤاب

وقد ظل رجع الصدى عالياً

كما أخبر العارفون

ففاض الحنين، كما البشر في وجه أُمي

أيام كنا، ولا حلم في الغيب يأتي

ولا أحد عارفاً أين يوماً نكون

(1) الذبايات، علي: التناص الديني في ديوان (رجع الصهيل) لخالد الكركي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد 94، سنة 2018، ص110.

(2) جوخان، إبراهيم: التناص في ديوان (مقام الياسمين) لخالد الكركي، مجلة التربية والتعليم، م 18، عدد 3، سنة 2011.

(3) السعودي، محمد: خالد الكركي سياسياً ومنتقفاً، مجموعة من المؤلفين، مجمع اللغة العربية الأردني، 2018، ص122.

(4) ديوان عبد الله، ص11.

وما ضلّ صاحبنا يا بني

وظل ينادي على وطن

مسّه الضرُّ

والناس رغم عذاباتهم صابرون

وربما يشي هذا التأثر بالقرآن الكريم في استخدام تعبير (مسه الضر) بتناص ديني هادف، حين تمثل الشاعر/ النص حالة الضر التي مست أبناء يعقوب عليه السلام، حين خاطب أبناء يعقوب أخاهم يوسف عليه السلام، بقولهم: يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِنْنَا بِبِضَاعَةِ مُرْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ {يوسف: 88}، وهنا تتجلى حالة الأب/الابن؛ لأن يعقوب داخل في نطاق (وأهلنا) فهو الأب، وهو كبير القوم.

ولعل خالد الكركي أحد أبرز الشعراء المعاصرين الذين يقصدون التراث العربي والإسلامي، ويحاول صدمه بالواقع الحاضر علّه يحاكيه ويبدأ صحوة جديدة، فهو دوماً "يحاول نبش التاريخ والاستجارة به، ومناداة تلك المعالم المتمثلة بالأنبياء والأبطال والأماكن التي خُلد اسمها وهي تدافع عن شرف الأمة ... وهكذا وجد الشاعر متفلساً في مناجاة هذا التراث ومناداته"⁽¹⁾، ويؤكد علي عشري زايد أهمية التراث والالتكاء عليه في محاولة لأخذ النماذج الإيجابية ، وتكوين دروس معاصرة ترسم بوصلة النضال من أجل عزة الأمة وكرامتها، يقول : "ويُعد التراث في كل العصور، ولدى كل الأمم، مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعري، إذ يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبية"⁽²⁾، ولما وجد الشاعر في الرموز الإسلامية القديمة ما يحمل عنه عبء التجربة شعورياً وفكرياً، فقد هباً للرمز سياقاً يحتضنه بكل أبعاده، "فدلالة الشخصية أو الرمز تنقيد من ناحية ثانية ببعد السياق الخاص، فالشاعر حين يستخدم رمزاً جديداً يخلق السياق الخاص الذي يناسب الرمز، والقوة في أي استخدام خاص للرمز تعتمد على السياق الشعري الذي يضيف على الرمز طابعاً شعرياً ينقل المشاعر المصاحبة للموقف وتحديد أبعاده النفسية"⁽³⁾ ، وهذا عينه ما فعله الشاعر الكركي.

وإذ يستذكر الكركي أبناءه الثلاثة استذكراً واستحضاراً شخصياً ووجدانياً، إلا أنه يصر على أنهم أجنحة الله إليه، كما كان قادة معركة مؤتة الثلاثة أجنحة الله التي أهداها للمسلمين، وبهذا فإنه يُدغم الخاص بالعام حتى يصل إلى فكرة

(1) العبادي، عيسى: الرموز الإنسانية في شعر خالد الكركي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد (102) سنة 2020.

(2) زايد، علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977، ص75.

(3) إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر، دار العودة، بيروت، 2007، ط7، ص200.

الفداء والتضحية، وكان مثله في الشعر العربي القديم، ونزار قباني، كذلك، رثى ابنه رثاءً شخصياً وجدانياً، حتى شكلت جملته (أشيلك يا ولدي) محور نص الرثاء لابنه توفيق، وقد حذا حذو نزار غيره من الشعراء المحدثين، لكن الكركي أصر على فكرة الفداء والتضحية استئناساً بالشعر الإسلامي القديم حين نذر أبناءه الثلاثة للوطن والأمة⁽¹⁾:

فيا ولدي

إنّ طرفي الذي لا يرى كل صبحٍ

ثلاثة أجنحة مدّها الله لي

طرفُ أعمى

وأنتم مصابيح هذي النجوم

إن هذا التماهي مع التراث الإسلامي قد شكل بؤرة الديوان ومحوره، فالكركي يصرّ على استحضار الشخصيات التراثية الإسلامية، ويوشح أبناءه بها من أجل حمل فكرة الثورة والنضال والجهاد في سبيل الله والأمة، ولعله حين أطلق أسماء أبنائه الثلاثة على قادة معركة مؤتة الثلاثة أراد تشريف هؤلاء الأبناء من حيث حملهم لأنبال الأسماء في التاريخ الإسلامي، وبالتالي فقد حرّم عليهم أبوهم / الشاعر الخيانة، احتراماً وتقديساً وتقديراً لهذه الأسماء / الأوسمة التي يحملونها⁽²⁾:

كان الفتى يترامى على قبر جعفر

كان اسمه أنت، فاحمل

أماناته حيث كان يريد

وكن أنت كن ما تريد

فما أحد سوف يعطيك سيفاً

ولا أحد سوف يصحو من القبر

حتى يراك

(1) ديوان عبد الله: ص9.

(2) ديوان عبد الله: ص43.

وأمام هذا الإيثار / إيثار الوالد أولاده، وخصهم بهذا الشرف، يحاول الشاعر أن يذكر هؤلاء الأولاد بأن للوالد، أيضاً، نصيباً من هذا الشرف، فيأتي على ذكر اسم خالد ابن الوليد في سير ابن أنيس*، ولمعرفتهم بسيرة خالد بن الوليد، فإنه يذكرهم بقدر خالد وإنجازاته ومكانته في الإسلام، وكأنه بذلك يريد أن يوصل إليهم رسالة المشاركة، فكما كان الأبناء منذورين للأمة، فإن خالد بن الوليد المشترك مع الوالد في الاسم هو إحياء ضمني وصريح بالشراكة والالتزام وعدم تدنيس إنجازات هؤلاء الكبار⁽¹⁾:

والريح تجري شمالاً

وابن أنيس

يحدث عن سير الشهداء

وعن سيف مخزوم

وما سئل إلا على اسم الإله

تتوالى الإشارات إلى خالد بن الوليد رمزاً أعلى لنصائح الأب وتوجيهاته لابنه / أبنائه، فمرة أخرى يحاول أن يذكرهم بأن له نصيباً من هذا الاسم الذي يحمله، ومرة أخرى يوجه بوصلتهم إلى هذا البطل الإسلامي خالد بن الوليد، في لغة شفيفة مؤنقة، وجادة موجعة في أثرها وتأثيرها، إنه يريدنا قوانين ومرتكبات أولى في رؤى أبنائه، فكانت حارة حادة كما كانت شفيفة ومؤنقة⁽²⁾:

فكن صاحب العنفوان

وإياك أن تترجل قبل الأوان

وإياك أن يلحق الضعف قومك ثم تقول :

أنا ليس لي بالذي أنتم اليوم فيه يدان

(1) ديوان عبدالله: ص45.

(2) عبدالله: ص38.

* عبد الله بن أنيس الجهني (ت: 54 هـ - 673) صحابي جليل، اسمه أبو يحيى عبد الله بن أنيس الجهني، حليف الأنصار، روى عن النبي وعن عمر بن الخطاب وأبي أمامة بن ثعلبة، روى عنه الحديث أبناؤه ضمرة وعبد الله وعطية وعمرو، وعبد الرحمن وعبد الله ابنا كعب بن مالك، وجابر بن عبد الله، وبسر بن سعيد، وعبد الله ومعاذ ابنا عبد الله بن حبيب وغيرهم، شهد ابن أنيس بيعة العقبة وغزوة أحد وما بعدهما، وهو الذي بعثه النبي إلى خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي فقتله في سرية عبد الله بن أنيس، روى له البخاري في الأدب المفرد، و الإمام مسلم وأصحاب السنن الأربعة، وقد روى عن النبي أربعة وعشرين حديثاً، قال ابن حجر مات بالشام في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة أربع وخمسين.

ألا اقرأ لهم

كيف تسع صحاف تقطعن في زند خالد

والموت ينشر غربانه في المكان

لقد صمدوا يا بُني

وصاروا سيوفاً لرب العباد ورب الزمان

ألا فاشهدوا ... إنه زمن قادم

يطلع الآن حرية في بلاد الشام

وريحانة من سهول مؤاب

إنه يبشّر أبناءه بقدوم فجر جديد لهذه الأمة التي طال سباتها، فبين الأمر بحزم النصيحة والتبشير بالفرح القادم، تتناوح هذه اللغة الشعرية الجميلة على صعيدها الفني، لترتقي إلى مكونات الأب وذخيرته الذي يشرح لأبنائه أنّ النتيجة ستكون الحرية والمجد والعزة إن وعى الأبناء درس خالد، والسيوف التسع التي تقطعت في يديه في ميدان الحرب، إنّ شرط الحرية والكرامة إذن هو حذو هذا النموذج التاريخي حذوً عملياً، وهكذا فإنّ المهمة ما زالت بعيدة من الناحية العاطفية الوجدانية، بل إنّها تشير وتعمق نحو الحس الجمعي الذي يخص الأمة وكرامتها ، وكأنّ الشاعر، هنا، يتهرب من دور الأب الشخصي ليقصص دور الحكيم الواعظ تارة، ودور القائد العسكري الذي يرسم خطة النصر، تارة أخرى، وفي هذا إشارات دالة على الأب الفلسطيني المعاصر، وكذلك الأم الفلسطينية التي تزج بابنها إلى المقاومة والنضال من أجل فلسطين، وتزفه عريساً شهيداً إذا جاءها خبر استشهاده.

وفي حس مأساوي إنساني تهمني إشارات الوالد بلغة يكتنفها الشجن، ومرارة القيد والضعف، إنّ الوالد هنا يتمنى أنّ يسبقه ابنه الذي هو نسخة منه وعنه إلى الوعد الجميل الذي أراده، لكنه الآن يسافر، بعد أنّ أدى واجبه، ولم يبق من العمر بقية لنضالات جديدة، فقد ورث الأب أبناءه هذه الأمانات، وهو ينظر بعين الرجاء والضعف والأمل إلى الإنجازات المنشودة التي كان قد قررها على أبنائه⁽¹⁾:

قلت في أول السطر

(1) عبد الله: ص41، 42.

إني سأنهض يا ولدي

فالحياة على صوتك العذب عادت حياة

وها نحن، تأخذ مني القصيدة، ما ظل

في العمر من شغف، ثم أجهشُ

هل نحن مؤتلفان !!

فخذ ما تبقى من العمر، واذكر أباك الذي

عاش في نصف حرية، وهوامش هذا الزمان

وكن ما تريد

ومن كان هذا هواه

سيخترق الليل من أجل حفنة نور

وعشق لثوار هذا الزمان

وكل زمان

ولعل هذه اللغة الرشيقة الممتعة التي يتقصدها الكركي في جميع أشعاره هي رمز أعلى لهذا التفوق الشعري، والشاعر نفسه هو الذي يعرف اللغة تعريفاً فنياً وموضوعياً دقيقاً، ولذا فهو لا يخون هذه الرؤية إلى اللغة ، بل إنه ربما جعلها إحدى مقاصده في النص الشعري، يقول الكركي نفسه في هذا الخصوص "فالعربية ليست صوتاً، بل شلال ترانيم، وهمس حرير، وصباوات ديك الجن، وجنون قيس، العربية عذريون يبشرون بالحب، وصوفيون يسبحون الله، ويبشرون بالسلام، ونقوش غافية في خط مصحف، وشعر على حيطان غرناطة، وحذاء مقاتل في جيش صلاح الدين" (1).

تتناوح لغة الكركي، خاصة في ديوان (عبد الله) بين شكل المفردة الرومنسية الشفيفة حين يكون الحديث من أب لابنه، واللغة الفخمة الفنية البعيدة عن المباشرة والخطابة، وكل هذا ينعكس من خلال موجاته الإرشادية التي لا تهدأ، إنه لا يفتأ يحمل الجرس ويدقه عالياً ليُسمع أبناءه وأبناء الأمة جميعاً خطر الحاضر والقادم، ولعل من متعلقات هذه اللغة الجميلة

(1) الكركي، خالد: اللغة العربية وهوية الأمة، دار الفارس، عمان، 219، ص153.

تعلقها دوماً بالتراث الديني الإسلامي والعربي القومي، حين تستقرض أيقونات وقامات تاريخية مجيدة، تلفها وتوشحها بثوب لغوي جميل يضفي عليها حياة جديدة وحركة وإغراءً بالقبول، يقول⁽¹⁾:

بُنِّي ...

تبصّر جواداً يخزُّ كما جبل يعقره

جعفر

والمنايا حوالياه ليس إلى ردها من سبيل

وما زال يجمع في عضديه اللواء وينظر

نحو نجوم سراه

....

أظل أنادي عليك

فقد مسني وجع من زمان عتيق

فاقرأ الآن سيرة أجدادك

الطيبين

وحين تضيق بك الأرض

انظر يميناً إلى السهل

واسمع نداءً

إنه صوت سيدة إذ توزع حزن الفواطم

من جرح جعفر

إنه لا يتعب من ترداد هذا الحنان المشفوع بالتحفيز واستنهاض الهمة، فابنه/ أبناؤه أصبح قدرهم -يفعل والدهم-

أن يظلوا قلقين، منتبهين، حراساً للثورة التي ورثها والدهم عن أبيه وجدته وبالتالي عن التاريخ الإسلامي المجيد كله.

(1) ديوان عبد الله: ص 28 ، 29.

ومع كل هذا القلق والخوف الذي يهاجم الشاعر نحو مستقبل الأمة، إلا أنه دوماً يرسم مشهد النصر القادم، طالما انتبه هؤلاء الأبناء / الجيل إلى مناداته ومناجاته، إذن سوف يطل الفجر على الأمة، وسوف يكون هؤلاء الأبناء فدائيين تلتحم أرواحهم ودمائهم بأرواح القادة المسلمين العظام، أمثال جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين، وستشتبك أجنحة الشاعر الثلاثة الذين أهداهم الله له / أبناؤه بجناحي جعفر ذي الجناحين⁽¹⁾.

ألا فاشهدوا في غدٍ قادمٍ

كيف تتفطر الأرض، جرحاً عميقاً

وحزناً عميماً

وذا الجعفري الشهيد ينادي على

صاحبيه

أفيقاً

فإن سهيلاً يطل على الشأم

إنّ التمسك بالرمز الكبير الذي يمثله جعفر بن أبي طالب تأكيد عاطفي وأيدولوجي في رؤية الشاعر لقيمة مثل هذه الشخصية التراثية الدينية، وبالتالي التراث الديني الإسلامي كمادة يمكن أن تكون بدء الحديث، فاستحضار مثل هذه الشخصيات يجعل النص "ذا قيمة توثيقية، يكتسب بحضورها دليلاً محكماً، وبرهاناً مفحماً على كبرياء الأمة وحاضرها المجيد، أو حالات انكسارها الحضاري ومدى انعكاسه على الواقع المعاصر"⁽²⁾. وهذا ما يؤكد كاتب آخر، يقول أحمد حنطور موضعاً قيمة الشخصية التراثية وأثرها في رسم بوصلة الشعر المعاصر، إنها: "تلك الشخصية التي اكتسبت بمواقفها الفكرية والعلمية ومقوماتها الخلقية والنفسية، وتأثيرها في حياة الأمة رصيلاً جديداً تضيفه إلى ما يحمله تاريخها من أفكار وعمل وسلوك وقيم"⁽³⁾.

يعود الشاعر من جديد ليعزف لحن التراث بشقيه المكاني والزمني اللذين يحركهما الإنسان / البطل المسلم التراثي، فتظهر مؤتة من جديد، وتظهر مؤاب، وتظهر الأردن، ميدان احتواء لكل هذه الأماكن التي صنعت النصر أو أن

(1) ديوان عبد الله: ص39.

(2) موسى، إبراهيم نمر: الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر، مجلد33، 2004، ص117.

(3) حنطور، أحمد محمد: الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر، محاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية، 1999، ص424.

النصر صنعها، وتتهض هذه الأماكن لتتحرر من جغرافيتها نحو رمزية يوشحها الأمل والتفاؤل والنصر، فغدت مؤتة " مساحة كبيرة من شعر الكركي، حيث هي المفصل التاريخي الذي يمثل هاجساً يستحوذ على ذاكرة الشاعر، ويأتي استخدامها مركزاً للتحدي والمقاومة ، وقد وجد الكركي في مؤتة الأنموذج الصلب والقوي الذي يتكئ عليه، ليبث من خلاله رؤاه الشعرية، فيعيد قراءتها من جديد حيث لا يستحضر دلالتها التاريخية الأصلية، بل يعلي من رمزيتها، وذلك عندما يقوم بإعادة إنتاجها في قالب شعري راقٍ يتجاوز معه النسقية السردية الرتيبة المألوفة عند مطالعة النصوص التاريخية"⁽¹⁾.

وربما انسربت بعض ملامح التعب والضعف إلى نفسية الوالد / الشاعر فيهرب فوراً إلى هذا الوريث الذي يستمد منه بعض العوض عن مثل هذه المعاناة، "فسيصبح الأبناء أجنحة تحمل الأب من جديد، ليحلق في سماء الحياة، ويستعيد الزمان الفتي، حيث يستضيء بهم نجوماً تبدد عتمة الزمن الذي قسا عليه وعانده"⁽²⁾، وهذا اعترافه صريحاً⁽³⁾:

فيا ولدي

إنّ طرفي الذي لا يرى كل صبح

ثلاثة أجنحة مدّها الله لي

طرفُ أعمى

وكيف يكون

وأنتم مصابيح هذي النجوم

ويتقلت الشاعر في موجة جماعية تختلط فيها أنساب العقيدة وصدى التراث الإسلامي العتيق، فتتداخل أصوات

الأب والابن والجد والأخ وقامات الشهداء في مؤتة⁽⁴⁾:

أنادي عليك

ويوقظ جعفر روجي

و زيد يداري حروف الكلام

(1) النصرات، أسماء: التناص في شعر خالد الكركي، رسالة ماجستير، جامعة الحسين بن طلال، 2017، ص92.

(2) أبو عودة، بيان: الشخصيات الإنسانية في أدب خالد الكركي، رسالة ماجستير، جامعة الحسين بن طلال، 2021، ص55.

(3) ديوان عبدالله: ص9.

(4) ديوان عبدالله: ص22.

وأسمعه إذ يحاول يا أبتاه
ووجه أبي إذ تراءت على شرفات
البيوت القديمة أعلى رؤاه
ولو كان آه لو كان
حدثكم عن سليمان جدي
وعن سليمان أيقونة الروح إذ جاءه
غارقاً
في أساه

ثم يعود الشاعر في رسم مشهد سريالي قادم يرسمه لابنه ليوطنه على تصور مثل هذه المشاهد القادمة التي ترسم لوحات الثورة والحرب والنصر، وتدخل هذه الشريحة في غيبوبة من الكلمات واللمسات الصوفية والسريالية العذبة، لكنها ترسم لوحة من أصعب لوحات هذه الأمانة التي يحملها الأب لابنه (1):

ذات صباح بعيد
ستدخل في غيب تائه في الندى والشروق
هناك ترى يا بُني قباباً وخيلاً
رجالاً أكفهم من غمام
والعمائم خضراً
وبين الرؤى سوف يمتد نهر ضباب
كما زرقة الموج
يرتعش السهل حين يرى جعفرأ
بجناحين من أرجوان وطيب
يضيء فضاء مؤاب

(1) عبدالله: ص19.

إنها الحرب، أضرحة، وبكاء على الراحلين

وذاك الزمان على طرقات الجنوب

عجاج يرود السماء

ووحى يعلمهم

أنها الأرض للتائرين

وفي رسالة أخيرة، وليست بالأخيرة، يهدي الشاعر ابنه / أبناءه خارطة طريق يرسم لهم فيها المبادئ والقيم، ويحدد لهم الأمانات والرسالات التي ستلقى على عواتقهم، وهو بهذا يظن أنه قد أدى رسالته، فبعد أن أدى هذه الرسالة على الحقيقة، واجتهد في نضالاته، فإنه ينقل هذه الأمانة إلى ورثته، راضياً وآملاً ألا يخيبوا ظنّه فيهم، فما خيب هو ظن آبائه وأجداده من قبل، وأنى لهم أن يضيعوا هذا النداء وهذا الرجاء الأخير (1).

فهذا كتابك أنت، فكن صابرا

إنّ هذا الضباب بقايا دخان

وكن قادراً أن ترى

غير ما نحن نبصر

فالمجد والموت بالخوف لا يريان

وإياك أن تترجل

والثورة البكر تزهر بجمرك، والأمة اليوم

خوف وقهر

فكن صاحب العنفوان

وإياك أن تترجل قبل الأوان

(1) عبدالله: ص37.

وبعد أن اطمأن الشاعر -أو هكذا بدا له- أنه أدى الرسالة والأمانة من خلال توجيهات ونصائح ورجاءات وتوسلات، يصلح الآن بلغة حزينة باكية مبكية، وكأنه الرحيل أو الوداع، وكأن صاحبه / الفراق يناديه، فينادي مهجاته هؤلاء بنغمة أسيانة يكاد القارئ يظنها الحقيقة (1):

لا ضوء في مشهد الصبح

لا عاصم اليوم في راسيات الجبال

وقد هدنا الخوف أن لا تجيء

فهل تحمل الآن شيخك

في لجة الفجر والزعفران

وما ظل من

وجع الباكيات على الراحلين وأحلامهم

في شواهد تلك القبور

فيا أطيب الطيب يا ولدي

يا الربيع الذي اجتاح روحي، ويا بهجة الصوت يشد

والخطو يمتد

والنور يطغى على عتم قرينتا فتقوم الدروب

ولعل التأثر بالقرآن الكريم في السطر الشعري الثالث (لا عاصم اليوم في راسيات الجبال) يؤكد التناص الديني الهادف إلى رسم صورة مقارنة بين نوح عليه السلام وابنه في حادثة الطوفان، قال تعالى: ﴿ قَالَ سَأَوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ [هود: 43]، فجاء التناص إشارة تحذيرية من الوالد إلى الولد حتى لا يكون مصيره الغرق والفسل كما حدث لابن نوح الذي لم يستجب لنداء والده.

وختاماً، "لا نملك إلا أن نجبر العين على التقطع، والشفاه على الابتسام، والقلب على الفرخ مع السيمفونية الأخيرة التي يعزفها هذا الشاعر الثائر الهادئ، إنه الآن يدخل استراحة المحارب بعد كل هذه البكائيات والحزن والألم والأمل

(1) عبدالله: ص15، 16.

والمشاعر المضطربة، يحاول أن يمدّ قدميه، لكن ليس كجده أبي حنيفة، بل إنّه استشعر وصول الرسالة، فكان لقمان الحكيم الذي رسم خيوط المعادلة لأبنائه وجيلهم، ولا نستطيع، في هذا الختام، إلا أن نفرح، ونتوقف طويلاً أمام هذا الموجة الجميلة الرائعة وهي تهمني رويداً كموج بحر عاقل" (1)، يقول (2):

سيأتي زمان جديد

ويطلع نور هذي البلاد

وحبك في كبدي سيزيد

فإن غبتُ

لا تبتئس يا بُني

فجعفر أقرب مني إليك

وجعفر بشرى بفتح

ترى فيه كل الذي ضاع منا يعود

فسلام عليك

على الأرض إذ يورق الصخر فيها

شقائق من أرجوان يدبك

ومثل ياسمين المحبين، يأتون مثل البنفسج

حين تمدُّ أساه إليك

يأتون فاسق العطاش

إذا جادك الغيث، علّ الذي ضاع مني يعود إليك

وسلام عليك

سلام عليك

(1) الرموز الإنسانية في شعر خالد الكركي: ص126.

(2) ديوان عبدالله: ص47 ، 48.

الخاتمة

استعرضت هذه الدراسة موقف الشاعر خالد الكركي في ديوانه (عبدالله) من حيث الفكرة المركزية التي احتلت مساحة الديوان وهي إيصال رسائل الشاعر لأبنائه، وللجيل الحاضر من خلال أبنائه، وذلك من أجل النهوض بالأمة العربية الإسلامية، ومحاولة استعادة المجد والكرامة من خلال تحقيق النصر على العدو الذي يرسم الديوان ملامحه وحدوده.

وقد حاول الشاعر، في هذا الديوان، أن ينطلق من ثلاث ثنائيات لرسم بوصلة الحركة والنصر، فاستعان بوالده الرمز من خلال ثنائية الأب/ الجد، واستعان، كذلك، بأخيه سليمان من خلال ثنائية الأب/ الأخ، وركز في الثنائية الثالثة على قطبي الأب/ الابن، من أجل بعث رسالة صريحة وقوية إلى الجيل المعاصر، عن طريق الأبناء بالنسب، فيما يخص الثورة، والنهوض، ومحاولة استعادة شرف الأمة وعزتها.

وقد توصلت الدراسة إلى توضيح الرؤية الثورية والحس الوطني والقومي لدى الشاعر، وكيفية زرع هذه الرؤية والأفكار الثورية الوطنية والقومية في نفوس أبنائه وأقرانهم من شباب الأمة العربية الإسلامية في سبيل تحقيق النصر والكرامة والعزة.

المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- القرآن الكريم
- الكركي خالد: رجع الصهيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ودار الفارس، عمان، 2007.
- الكركي خالد: عبد الله، دار أزمنة للنشر، عمان، 2016.
- إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والموضوعية، دار العودة، بيروت، 2007.
- جوخان، إبراهيم: التناسق في ديوان (مقام الياسمين) لخالد الكركي، مجلة التربية والعلم، بغداد، مجلد 18، 2011.
- حنطور، أحمد محمد علي: الشخصية التراثية، في الشعر العربي المعاصر بين التوظيف والتحريف، محاضرات الموسم الثقافي، القاهرة، 1999.
- الذيابات علي: التناسق الديني في ديوان (رجع الصهيل) لخالد الكركي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد94، سنة 2018.
- زايد، علي عشري: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977.
- السعودي، محمد: خالد الكركي سياسياً ومنتقياً، مجموعة من المؤلفين، مجمع اللغة العربية الأردني، 2018.
- شطناوي، لقمان: الرمز في الشعر الأردني الحديث، مطبعة الروزنا 2006.
- العبادي، عيسى: الرموز الإنسانية في شعر خالد الكركي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد201، 2020.
- أبو عودة، بيان: الشخصيات الإنسانية في أدب خالد الكركي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحسين بن طلال، 2021.
- الكركي، خالد: اللغة العربية وهوية الأمة، دار الفارس، عمان، 2019.

- موسى، إبراهيم نمر: الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر، مجلد 33، 2004.
- النصرات، أسماء محمود: التناص في شعر خالد الكركي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحسين بن طلال، 2017.

المراجع الأجنبية

- The Holy Quran

- **Al-Karaki, K:** Return to Al-Sahel, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, and Dar Al-Fares, Amman, 2007.
- **Al-Karaki, K:** Abdullah, Azma Publishing House, Amman, 2016.
- **Ismail, I:** Contemporary Arab Poetry, its artistic and objective issues and phenomena, Dar al-Awda, Beirut, 2007.
- **Jokhan, I:** Intertextuality in the Diwan (The Maqam of Jasmine) by Khaled Al-Karaky, Journal of Education and Science, Baghdad, Volume 18, 2011
- **Hantour, A:** The Heritage Personality, in Contemporary Arabic Poetry between Employment and Perversion, Lectures of the Cultural Season, Cairo, 1999.
- **Al-Thiabat, A:** Religious Intertextuality in the Diwan (Return Al-Sahel) by Khaled Al-Karaki, Journal of the Jordanian Arabic Language Academy, Issue 94, Year 2018.
- **Zayed, A:** Recalling Heritage Personalities in Contemporary Arab Poetry, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 1977.
- **Al-Saudi, M:** Khalid Al-Karaki, a politician and an intellectual, a group of authors, the Jordanian Arabic Language Academy, 2018.
- **Shatnawi, L:** The Symbol in Modern Jordanian Poetry, Al-Rozana Press 2006.
- **Al-Abadi, I:** Human Symbols in the Poetry of Khaled Al-Karaki, Journal of the Jordanian Arabic Language Academy, No. 201, 2020.
- **Abu Odeh, B:** Human Figures in the Literature of Khaled Al-Karak, unpublished MA thesis, Al-Hussein Bin Talal University, 2021.

- **Al-Karaki, K:** The Arabic Language and the Identity of the Nation, Dar Al-Faris, Amman, 2019.
- **Musa, I:** Historical Figures in Contemporary Palestinian Poetry, World of Thought Magazine, Volume 33, 2004.
- **Al-Nasrat, A:** Intertextuality in Khaled Al-Karaky's Poetry, unpublished MA thesis, Al-Hussein Bin Talal University, 2017.